مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
١

التجار العراقيون
فى مصر الفاطمية

إعداد
د / نريمان عبد الكريم أحمد
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الآداب – جامعة المنوفية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية
العدد الثالث والخمسون
ابريل ٢٠٠٣

اتسمت العلاقة بين العباسيين والفاطميين بالعداء، لأن حلم الفواطم في إقامة خلافة كبرى لم يتحقق إلا على حساب خلافة العراق؛ بسبب ذلك كانت الحرب الباردة بين بغداد والقاهرة المتمثلة في الطعن في نسب الفاطميين. ولم يقتصر العداء على الفترة التي أعقبت قيام الخلافة الفاطمية، بل أمتد حتى عصر المستنصر الطويل٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م إلى أن دخلت جيوشه بغداد، واستمرت فيها لفترة قصيرة .

ونظرا لهذا العداء السياسي المستحكم بين الخلافتين، كان من المنتظر أن تتلون العلاقات المختلفة بينهما بهذا الطابع. ومع ذلك لم تؤثر القطيعة السياسية إلى حد كبير فيما نشأ من روابط بين البلدين، خصوصا على الصعيد الاقتصادي، وما يهمنا التجارة، فوجدت إشارات في المصادر تفيد بأن هناك تواجد عراقي لها في الفترة الفاطمية، وألمح بعض الدارسين[1] إلى وجود هذه العلاقة التجارية بين البلدين في إطار عام وشامل لعلاقات مصر بالدول المحيطة بها .

وهذا يقودنا إلى عدة تساؤلات، منها: هل ارتبطت هذه العلاقة بفترة زمنية معينة؟ وهل تمت على المستويين الرسمي والشعبي، أم اقتصرت على أحدهما ؟ أيضا هل كانت هذه العلاقة من طرف واحد أم متبادلة ؟

والإجابة على هذه التساؤلات تثبت أو تنفي ما نراه من حيوية التجارة، وتجاوزها العداءات إلى المصالح، إذا لم تكن أحد أسبابها، وأن

---

[1] راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨، ص٢٣٣؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٦١٤ .

الصراعات والاختلافات السياسية المرتبطة ربما بمصالح اقتصادية أخرى لا تمنع من سيولة التجارة ٠

ومع قيام خلافة الفاطميين في مصر في عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، استمرت العلاقة التجارية بين البلدين، والتي كانت قائمة طوال عصر الإخشيديين٠ وتمثلت فيما يحمله التجار العراقيون من الحلل التينسية من ثياب الشرب والدبيقي[١]٠ وعلى ما يبدو أنه كان كثيرا، بسبب ما تميزت به المنسوجات المصرية من جودة عالية، وظل ذلك حتى بعد عام ٣٦٠هـ/ ٩٧١م٠ [٢]

لكنه انقطع كما يذكر ابن حوقل [٣] : "مع المغاربة، وخص بقطعة ابن كلس وزير العزيز" ٠ ونتساءل هل كان هذا الانقطاع بسبب العداء السياسي بين الخلافتين، أم أن هناك سبب آخر ؟ معلوم أن التشنيع على الفاطميين لم يبدأ إلا مع خلافة العزيز ٣٦٥ – ٣٨٦هـ/٩٧٦ – ٩٩٦م، فيما قام به عضد الدولة البويهى ، عندما تولى الحكم، فأنفذ رسولا إلى العزيز يسأله عن نسبه، ويطالبه بتحقيق دعواه، ويهدده بالمسير إليه [٤]٠ في حين أن العلاقة بين البويهين والفاطميين كانت طيبة منذ البداية٠ [٥] وإذا كان هذا الانقطاع يرجع إلى عام ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م منذ وزارة ابن كلس، وما قام به عضد الدولة يرجع إلى عام ٣٧١هـ /٩٨١م: مما يبين وجود ارتباط بينهما٠

---

[١] ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت١٩٦٤، ص ١٤٣ ٠ نسبة إلى دبيق إحدى قرى دمياط ، اشتهرت بصناعة المنسوجات الموشاة ٠ أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ،بيروت١٩٨٤،جـ٢،ص٤٣٨ ٠

[٢] المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، جـ١ ، ص ١٧٧ ٠

[٣] المصدر السابق ٠ تولى عضد الدولة البويهي عام ٣٦٧هـ/٩٧٨ م٠

[٤] ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص٣٤ ٠

[٥] انظر لمزيد من التفصيلات: ، حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، صفحات ٤٠٧ – ٤٠٨ ٠

ومع احتمال التأثر بالحالة السياسية، فأننا نستبعد هذا السبب، ويظل هناك أمر أخر يتضح فيما ذكرته المصادر أيضا [1]؛ "فإنه استأصل ذلك بالنوائب والكلف والمغارم ...حتى جعل جزية على جميع الداخلين والخارجين إلى تنيس". معنى ذلك أن شدة الضرائب التي فرضت على التجار ومنهم العراقيين كانت السبب في انقطاع هذه التجارة مع العراق. وبرغم صمت المصادر عن وقت استئناف إرسال هذه المنسوجات مرة أخرى، فإنه على ما يبدو أنها عادت بعد فترة، لأن العلاقة التجارية سوف لا تنقطع كما سنتبين ذلك .

وعلى ما يبدو أن الخلافة الفاطمية لم تتأثر بهذا العامل السياسي ، بدليل وجود بعض الرجال المقربين إلى الفاطميين الذين يرجعون إلى أصل عراقي وتولوا مناصب مهمة في الدولة، ومنهم يعقوب بن كلس نفسه. صحيح أنه أتى إلى مصر أثناء ولاية كافور الأخشيدي، لكن أصله لم يقف حائلا دون أن يكون أول وزير في الخلافة الفاطمية[2]. كما تذكر المصادر[3] أن أهل العراق كانوا يحضرون صلاة العيد في خلافة العزيز، ونتبين من النص أنهم شكلوا جزءاً من عسكر الدولة، فبديهي أن يتواجد التجار، لاسيما أن الإضطرابات المتتالية في جنوب العراق أدت إلى فرار كثير من أهله إلى مصر.[4] وكذلك بسبب ظهور مركز مصر الاقتصادي وتحول السيطرة السياسية والاقتصادية من بغداد إلى الفسطاط. [5]

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق.

[2] هو من أصل بغدادي، أتى عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م إلى الفسطاط تاجراً ثم التحق بخدمة كافور الأخشيدي . انظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان، بيروت ١٩٧٢، جـ٧، ص ٢٧ وما بعدها.

[3] المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٤٥١ .

[4] أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٢٩٩ .

[5] انظر Fischel ,Jews in the economic and Political Life in the Medeival Islam, London , 1968 , p 70 .

ويذكر أحد الدارسين [1]، أنه كانت في مصر جالية من اليهود العراقيين يشتغل بعض أفرادها وكلاءًا للتجار العراقيين ،كما استخدمت الدولة العباسية التجارة كإحدى وسائل الجاسوسية على الدولة الفاطمية، فيأتي إليها التجار ويقيمون بها الحوانيت [2]. وكان مسموحا بتداول العملة العباسية في أسواق مصر[3]، لاسيما أن الدولة الفاطمية لم تقم بمنع العملة العباسية ، واكتفت بتلك العملة ذات الفئة القليلة مثل المثقال والقطع[4] . وبرغم اتخاذ بعض الإجراءات لمحاربتها، فظل استخدام الدينار الرباعي ، الذي ينسب إلى المأمون العباسي ، حتى خلافة المستنصر .[5]

وكان هناك أيضا أخوان يهوديان هما أبو سعد إبراهيم وأبو نصر هارون التستري اللذين ظهرا منذ خلافة الحاكم بأمر الله ٣٨٦ – ٤١١هـ / ٩٩٦– ١٠٢١م. ومع ما نعرفه عن عصره، وأن أول محضر طعن رسمي في نسب الفاطميين صدر في عام ٤٠٢هـ/١٠١١م [6] من قبل القادر العباسي ، فلم يكن لذلك أثراً في تقلص دورهما. فيذكر المقريزي [7]، أنهما

---

(١) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٩٥ ، ص ١٧٨ .

(٢) كان يوجد بالفسطاط بالقرب من المسجد الجامع حانوتا لرجل من بغداد يبيع الفراخ المسمنة والحلوى وغيرها أثناء حكم عضد الدولة البويهي . انظر : الروذر اوري ، ذيل تجارب الأمم ، مصر ١٩١٦ ، ص ٦١ .

(٣) تقدم أحد جواسيس عضد الدولة إلى شيخ حلاوي في زقاق القناديل بدرهم عضدي، فرده عليه . انظر ، نفس المصدر ، ص ٦٠ .

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٢٠٤ .

(٥) المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ١٩ .

(٦) المزيد من التفصيلات، انظر،عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الإسكندرية ١٩٦٨،ص ١٦٣وما بعدها.بنو سهل من اليهود الفرس من تستر،وهاجروا إلى بغداد.

(٧) المصدر السابق ، ص ٤٢٤ .

نبغاً، وأحدهما كان يعمل في التجارة، والآخر في الصرف، وبيع ما يحمله التجار من العراق، والقيام بإيداع ما يملكه هؤلاء التجار لديهما .

واستمر دورهما خلال عهد الظاهر ٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١ - ١٠٣٦م ، فقام أبو سعد بشراء ما يحتاج إليه الخليفة من صنوف الأمتعة،[١] وسيتألق نجمه في الفترة اللاحقة.[٢] كما عرف السماسرة في عهد الظاهر الذين أنشأوا القيساريات لما يرد من متاع بغداد، ويذكر المسبحي[٣] أيضا أنه كان هناك من يعمل بالدلالة في المتاع والجوهر وغيره من أهل بغداد. كما كان يأتي التجار العراقيون إلى مدينة الفسطاط بوصفها واحدة من أهم المدن التجارية آنئذ، [٤] لأستثمار أموالهم ، ومنهم مبارك الأنماطي البغدادي الذي جاء عام ٤١١هـ ١٠٢١ م ، ومعه ثلثمائة ألف دينار.[٥]

ولعل مما يبين أيضا استمرار التواجد العراقي للتجار في مصر، واستئناف دورهم في نقل الثياب المصرية، أن اليازورى وزير المستنصر ٤٤٣-٤٥٠هـ/١٠٥٠-١٠٥٨م، أرسل مع داعية العراق السابق، المؤيد في الدين الشيرازي الخلع المصرية [٦] التي تفوق الخلع العراقية ، لاستمالة

---

[١] المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ١٩٧١ ، جـ٢ ، ص ١٩١ .

[٢] تولى أبو سعد ديوان أم الخليفة المستنصر، وصار ناظرا في جميع أمور الدولة.انظر، نفس المصدر .

[٣] أخبار مصر في سنتين ٤١٤ - ٤١٥هـ، تحقيق وليم .ج ميلورد، القاهرة ١٩٨٠، ص ٢٢٦ .

[٤] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٩٩ .

[٥] ابـن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧٠م جـ٤ ، ص ٢٥٢ ؛ ومـنهم أيضـا أبـو الفتح الشيباني العطار ، كانت مصر من بين البلاد التي نزلها. انظر ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، بيروت ، ١٩٣١ ، جـ٢ ، ص ٢٥٣ .

[٦] السيرة المؤيدة، ترجمة حياته بقلمه، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين،القاهرة ١٩٤٩،ص ١٠٠ .

الجند الترك في بغداد لمساعدة البساسيري في حملته، مما يوضح تعود السوق العراقي على استخدام الثياب المصرية. كما حمل التجار العراقيون إلى بغداد ما نهب من قصور المستنصر بعد فتن الجند [1].

كذلك حرص هؤلاء التجار على شراء ما تنتجه دور الطراز المصرية، حتى مما كان يختص بالقصر، ويستخدم في الولائم من أغطية للموائد وغيرها [2]؛ ولأنها كانت من السلع الترفية، فلم تلق قبولا لدى العراقيين فعادوا بها إلى مصر.

وأسهمت الدولة الفاطمية في تشجيع تواجد التجار العراقيين، فأنشأ الوزير المأمون البطائحى عام ٥١٦هـ /١١٢٢م دار الوكالة بالقاهرة لمن يصل من التجار العراقيين والشاميين وغيرهم، وأضافت المصادر[3]: أنه لم يسبق إلى ذلك "، فهل هذا معناه أن ما قام به الوزير لم يقم به وزير قبله بالنسبة لكل التجار، أو أنها أول وكالة أنشئت في القاهرة، أم أن المقصود به أول ما أنشئ للتجار العراقيين.

بداية كان التجار الآتين إلى مصر يقيمون وكالات خاصة بهم، تكون بمثابة مخازن لبضائعهم ومنازل يقيمون بها، وتصبح هذه الوكالات همزة الوصل بينهم وبين التجار المصريين [4].وكان منهم بالطبع التجار العراقيين، فكان لأحد التجار قيسارية كما أسلفنا، ونسمع عن سويقة العراقيين في

---

(١) ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص ٧٥؛ ابن ميسر، المنتقي من أخبار مصر، القاهرة ١٩٨١، ص ٣٦.

(٢) ابن المأمون ، نصوص من أخبار مصر ، حققها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص٧٣ ، ومنها القوارات الشرب التي تشد على المواند ، ومفردها قوارة، انظر المقريزي، الخطط ، جـ١ ، ص ٤٧٢ .

(٣) ابن المأمون ، نفس المصدر ، ص ٣٩ .

(٤) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٢٠ .

مدينة الفسطاط التي أشار إليها ابن دقماق [1]، صحيح أنها أقيمت خلال عصر الولاة ، لكنه ذكرها فيما كان موجودا في عصره هو وغيره[2] مما يدل على استمرارها ، وأنها كانت موجودة خلال العصر الفاطمي .

ويشير مان [3] إلى أن حي اليهود بمدينة الفسطاط كان مقسما إلى مناطق اشتملت إحداهن على العراقيين . كما وجد معبدا لليهود العراقيين بخط قصر الشمع ولم يشر إلى وقت إنشائه[4] وهذا يبين وجود العراقيين من الذميين بشكل عام أيضا، الذين أقاموا في مصر أو توافدوا عليها ، حتى سمح عددهم بإنشاء مثل هذا المعبد . ويتضح من كل ما سبق استمرار تواجد التجار العراقيين . ومع ما نعرفه عن المأمون البطائحي من الاهتمام بشئون الدولة، فكان أمراً طبيعيا أن يهتم بالتجار والتجارة بشكل عام، ولعل المقصود من الجملة السابقة "لم يسبق إلى ذلك" هو إنشاء دار الوكالة بالقاهرة، حتى أنها أصبحت منذ ذلك الحين مشاركة لمدينة الفسطاط في نشاطها الاقتصادي .[5]

وطالما أن هؤلاء التجار توافدوا على مصر طوال العصر الفاطمي كما بينا، لذا كان ما هو مقرر من الضرائب يشملهم . فيذكر القلقشندي :[6]

---

(1) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت ١٨٩٣، جـ٤، ص٣٤ . كما يذكرها خلال عام ٣١٦ هـ/٩٢٨م ، ثم يشير إلى أنها اندثرت، ولا يذكر تاريخ اندثارها، انظر، نفس المصدر، صفحات ١٠، ٢١ .

(2) المقريزي ، الخطط ، جـ٢، ص ١٠٧ .

(3) انظر , The Jews in Egypt and Palestine under the fatimid caliphs , Oxford, 1969 1 p 206 .

(4) ابن دقماق ، المصدر السابق ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٧١ .

(5) أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ .

(6) صبح الأعشي في صناعة الأنشا ، بيروت ١٩٨٧ ، جـ٣ ، ص ٩٢ .

"وكانت أكثر الجهات وأشدها ما هو مقرر على التجار الآتين من الشام والعراق، حيث كان يتحصل فيه الضريبة في الفرما" : لأنها كانت الفرضة للمناطق الشرقية حتى حدود العراق [1].

وإذا ربطنا هذا التشدد والزيادة المشار إليها في الضرائب بالعداء بين مصر والعراق، في محاولة التضييق على ما يرد من العراق على وجه الخصوص. فهذا الأمر غير مقبول. أولا، لأن هذا الأمر لم يقتصر على التجار الآتين من العراق، بل شمل أيضا التجار الشاميين. ومعلوم أن الفاطميين واجهوا صعوبات كثيرة في بلاد الشام حتى تم فتحها، لكنها كانت تحت إمرتهم . ثانيا : أن ما أوردناه ينفي هذا الافتراض .

ومن المعتقد أن السبب في الكم والكيف فيما فرض من ضرائب كان مقصودا به طبيعة ما يجلبه هؤلاء التجار من سلع، خصوصا أن دور الطراز الفاطمية اعتمدت على الخيوط الذهبية [2] التي اختصت بها العراق، كما كان ما يحمله التجار العراقيون من مصر من الثياب قبل وبعد العصر الفاطمي يصل الحمل منه من عشرين إلى ثلاثين ألف دينار[3] ، وكذلك لأن السياسة الضريبية في العصر الفاطمي كانت شديدة بشكل عام .

ويتضح مما أسلفناه أن التجار العراقيين كانوا يأتون أيضا ببضائع العراق ليبيعونها في مصر حتى أن بعض قوائم الجهاز لعرائس الفسطاط احتوت على بعض قطع الملابس المصنوعة من أقمشة تنسج في بغداد[4]،

---

(1) ابن زولاق ، فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص٥٠ .

(2) كان يوضع على حواشي الثياب وغيرها، في ملابس الخليفة، فتذكر المصادر أن بدلة الخليفة الآمر المكونة من عدة قطع بها ٢٩٩٤ قصبة من الذهب العراقي، كما استخدم في ملابس جهاته. انظر ابن المأمون، أخبار مصر، ص ٤٨ . والقصبة في مصر الإسلامية تساوي ستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش ، وخمسة أذرع بذراع التجار . انظر، المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ١٠٣ .

(3) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٤٣ .

(4) انظر : Gotheil and Worrell, Fragments from the Cairo genizah in the freer Collection, New York, 1927, XIV, pp 219-223.

كما أن السلع العراقية لم تقتصر على عامة المصريين، بل تعدتها إلى الحكام، ويتضح ذلك فيما تركه الأفضل بن بدر الجمالي عند وفاته عام ٥١٥ هـ /١١٢٢م، فاشتمل على ألف ثوب عتابي[١]، ومما كان ينسج في بغداد[٢]، كما حوت بعض خزائنه على المتاع البغدادي والأدوات المصنوعة في العراق[٣]. فضلاً عن ذلك كان يتم الإتجار في الحرير العراقي الخام بمدينة الإسكندرية [٤]، لأن الخلافة العباسية لم تمنع صادراتها من الخيوط الذهبية أو غيرها [٥] . وخلال وزارة المأمون البطائحي ٥١٥ – ٥١٩ هـ / ١١٢٢ –١١٢٥م ، كان من بين البضائع الواردة إلى مصر الشقق العتابي [٦] أيضاً ، وشكلت السميريات التي ترد من العراق[٧] جزءا من الأسطول النهري في عصر الفواطم حيث كانت تستخدم في نقل المؤن والعساكر في الأنهار .[٨]

ولم تكن التجارة من طرف واحد، فكانت العراق تستورد من مصر المنسوجات الشهيرة كما بينا ، إلى جانب الثياب من مختلف الأنواع، منها ما كان ينسج بتنيس من أثواب تنسج بالذهب ، وتسمى البدنة، يباع الثوب منها بمائة دينار[٩]؛ فضلاً عن الثياب المتخذة من الصوف والقطن والستور

---

[١] وهو نوع من الثياب الحريرية ، ينسب إلى عتاب ابن حفيد أمية ، وكان ينسج في بغداد ، وعرف في مصر منذ خلافة العزيز . انظر :

Dozy , Supplément aux Dictionnaires Arabes, Beyroth, 1991, 11 , p93 .

كما وجد له ثلاثون راحلة من الذهب العراقي المغزول ، وكذلك عدة صناديق ملء خزانة فيها أحقاق ذهب عراقي برسم الاستعمال .انظر، النويري ، نهاية الأرب، القاهرة١٩٩٢، جـ٢٨ صفحات ٢٨٢ – ٢٨٣ .

[٢] انظر: ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص ٨٢ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٠ .

[٣] ابن الطوير ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٨ .

[٤] انظر Goitein , S.D , AMediterranean Society, Economic Foundations, Los Angeles 1967 , 1 , P 103 .

[٥] Ashtor , E , A Social and economic history of the near east in the Middle ages, London 1976 , p 199 .

[٦] المقريزي ، كتاب المقفي الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت ، ١٩٩١ ، جـ٦ ، ص ٤٨٩ .

[٧] جوايتاين ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق عطية القوصي ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٤٢٠ .

[٨] عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، القاهرة ١٩٧٣ ، جـ١، ص ٢٢٤ .

[٩] ابـن حوقـل ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة، ١٩٨٣، جـ ١ ، صفحات ٥٠ .

البهنسية والأكسية المشهورة في جميع الأرض على حد قول الأدريسي [١] إضافة إلى الزمرد الذي اشتهرت به مصر .[٢] وكان لا بد أن يكون دهن البلسان أحد صادرات مصر إلى العراق[٣]، خصوصاً أن الفاطميين اهتموا به عندما أتوا إلى مصر [٤]، إلى جانب البغال والقراطيس والحمير[٥]. لكن قل الذهب الوارد إلى العراق؛ بسبب زيادة الرخاء في مصر حتى صار أكثر الذهب يستعمل فيها .[٦]

لذلك فكان هناك من التجار المصريين ممن يذهب إلى العراق لجلب السلع الخاصة بها، أو ليبيع المنتجات المصرية، وكذلك استئجار الحوانيت في بغداد ومشاركة التجار فيها ومقاسمتهم في الربح وغيره [٧]، وكان توافد المصريين إلى العراق للتجارة أمراً مألوفاً، ولعل ما يؤيد ذلك أيضاً استمرار التعامل بالدنانيز المغربية المصرية في خلافة القائم بأمر الله العباسي حتى أنه أمر في عام ٤٢٧ هـ /١٠٣٥ م بترك التعامل بها ، كما أمر الشهود أن لا يشهدوا في كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيه هذا الصنف من الذهب[٨] . وهذه العبارة الأخيرة تبين أن الفترة السابقة على هذا التاريخ ارتبطت بوجود تعاملات مالية بين التجار المصريين والعراقيين، وتشير أوراق الجنيزة إلى توافد التجار المصريين إلى بغداد حاملين معهم الدنانير

---

(١) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ليدن ١٨٦٤، صفحات ٥٠ – ٥١ .

(٢) كان يوجد على مقربة من أسوان جنوبا من النيل على جبل من أسفله معدن الزمرد ،ولا يوجد في شيئ من الأرض بأجملها إلا ما كان منه . انظر ، نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٣) ذكره الثعالبي فيما ميز مصر عن غيرها . انظر ، ثمار القلوب ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ٤٢٠ .

(٤) ناصر خسرو ، سفر نامة ، تعريب يحيي الخشاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، صفحات ١١٣ – ١١٤ .

(٥) وكان الخلفاء العباسيون لا يركبون إلا حمير مصر، انظر، الثعالبي ، المصدر السابق، ص ٤٢١

(٦) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٤٧ .

(٧) الروذر اورى ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، بيروت ١٩٨٥ ، جـ ٨ ، ص ١٢ .

المغربية[1]؛ فضلاً عن وجود بعض التعاملات المالية مثل الحوالات التي تمت بين بغداد والفسطاط ، وكذلك السفاتج التي يخرج بها التجار من بغداد إلى القاهرة . [2]

كما أن هناك أمر آخر لا بد من الإشارة إليه، وهو أن الفاطميين اعتمدوا على التجارة في نشر دعوتهم[3] منذ إقامة دولتهم بالمغرب وربطوا الدعاية السياسية والدينية بالعلاقات التجارية[4]، ولعل هذا الدور استمر بعد انتقالهم إلى مصر، خصوصاً أن الدعوة الفاطمية بدأت في العراق منذ عهد العزيز إلى أن دخلت الجيوش الفاطمية بغداد في خلافة المستنصر . [5]

أخيراً لنا أن نقرر أن التجارة هي لغة العلاقات الثابتة بين الشعوب، ولا يمنعها العداء السياسي بين الدول، لأن التعبير عن الصراعات هو بمثابة الواجهة التي تحدد موقف الدولة السياسي فقط، ولا تتعارض مع مصالحها الأخرى، كما لا تنفذ هذه الصراعات إلى القاعدة الشعبية. وبالتبعية فإن حالة السلم بين الدول تزيد من نشاطها. وأن انتقال التجار بين مصر والعراق رغم وجود كيانات سياسية متحاربة يلح على تجاوز هذه التقسيمات إلى عالم إسلامي واحد. وبذلك لم يتغير الموقف في مصر الفاطمية عما كان عليه قبلا، فظل تجار العراق يفدون إلى مصر لأن تواجدهم أمرا ألفه المصريون، ولم يتغير خلال عصري الفواطم مع اهتمام ملحوظ خلال خلافة الآمر بأحكام الله، وكان أكثر وضوحا على المستوى الشعبي، وارتبط بالمدن الشرقية لمصر، فضلا عن الفسطاط والحاضرة والإسكندرية، واختص بتجارة السلع الكمالية .

---

(1) انظر
Goitein, Med Soc, 1, p.61.

(2) انظر
Ibid., p.242.

(3) مجهـول ، الاستبصـار فـي عجـائب الأمصار ، نشر وتعليق . سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٢٠٢ .

(4) انظر:
Ashtor, op.cit, p.195.

(5) انظر . سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٩٤ ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

ثبت بالمصادر والمراجع

المصادر

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبي المحاسن) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م
  النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٧٠م ٠
- الثعالبي ، (أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري) ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م،
  ثمار القلوب، القاهرة ١٩٠٨ ٠
- ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣، الكامل
  في التاريخ ، بيروت ١٩٨٥ ٠
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على) ت بعد عام ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م
  صورة الأرض ، بيروت ١٩٦٤ ٠
- الخطيب البغدادي ، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، بيروت
  ١٩٣١ ٠
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس) ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م وفيات الأعيان
  وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٢ ٠
- الإدريسي (محمد بن عبد العزيز الشريف) ت ٦٤٩هـ /١٢٥١ م، صفة المغرب
  وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذه من كتابه نزهة المشتاق في
  اختراق الآفاق ليدن، ١٨٦٤ ٠
- ابن دقمان (صارم الدين إبراهيم بن ايدمر العلائى)ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م
  الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٨٩٣ ٠
- الروذراوري (أبو شجاع محمد بن الحسين) ت ٤٨٨هـ /١٠٩٥م
  ذيل تجارب الأمم ، مصر ١٩١٦ ٠
- ابن زولاق (أبو محمد بن إبراهيم بن الحسين الليثي) ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م٠
  فضائل مصر وأخبارها، القاهرة ١٩٩٩ ٠

- ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري القيسراني) ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م
نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، حققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، شوتجارت ١٩٩٢ .
- ابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور الأزدى) ت ٦١٢ هـ / ١٢١٥م ، أخبار الدول المنقطعة ، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب أندرية فريه، القاهرة ١٩٧٢ .
- القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ/١٤١٨ صبح الأعشى في صناعة الإنشا القاهرة ١٩٨٧ .
- ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ/١١٩٢ .أخبار مصر، حققها وكتب مقدمتها أيمن فؤاد سيد القاهرة ١٩٨٣ .
- مجهول لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦ .
- المسبحي (الأمير المختار عز الدين محمد بن عبد الله بن أحمد)، ٤٠٢هـ/ ١٠٢٩م، أخبار مصر في سنتين، تحقيق وليم ج ميلورد، القاهرة ١٩٨٠ .
- المقدسي (محمد بن أحمد البشاري) ت بعد عام ٣٧٧هـ٩٨٧م " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم /القاهرة ١٩٩١ .
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .
إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٤٠ .
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة .
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ، ١٩٦٧-١٩٧٣ .

كتاب المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت ١٩٩١ ٠

- المؤيد في الدين (هبة الله بن موسي الشيرازي) ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م
سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة ١٩٤٩ ٠
- ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ /١٢٧٨م ٠
المنتقي من أخبار مصر، حققه وكتب مقدمته وحواشيه، ايمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٨١ ٠
- ناصر خسرو، سفر نامة، قام برحلته بين عامي ٤٣٧ - ٤٤٤هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٢م٠ نقلها إلى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٩٣ ٠
- النويري، (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م ٠
نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٩٢، الجزء الثامن والعشرون.
- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، ت ٩٣٠ هـ /١٥٢٣ ،
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ١٩٨٣ ٠
- ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ٠
معجم البلدان ، بيروت ١٩٨٤.

المراجع : -

- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر- تفسير جديد ، القاهرة ١٩٩٢ ٠
- جوايتاين ، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق عطية القوصي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ٠
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ٠
- راشد البراوي ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين القاهرة ١٩٤٨ ٠
- عبد العزيز الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بيروت ١٩٩٥ ، الطبعة الثالثة ٠

بيروت ١٩٩٥ ، الطبعة الثالثة .

- عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الإسكندرية ١٩٦٨ .

نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة ١٩٧٣ .

- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٩٤ .

المراجع الأجنبية

- Ashtor , E , A Social and Economic history of the near East in the Middle ages , London 1976 .
- Dozy, R, Supplément aux Dictionnires Arabes, Beyrouth 1991 .
- Fischel , W. J, Jews in the Economic and political life of the Medeival Islam , London , 1968 .
- Goitein S. D, A Mediterranean Society, The Jewish Community of The Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo geniza , los Angeles 1967 .
- Gotheil and Worrell, Fragments from the Cairo genizah in the freer Collection, New York, 1927.
- Mann, J, Jews in Egypt and Palestine Under the Fatimid Caliphs , Oxford , 1969 .